



لا يتعلّم النسر كيف يطير إلا بعد ما تقوم أمه بحفظه على القفز؛ ليحصل على الطعام الذي أعدّته له، فيضطر إلى أن يفرد ريشه ويحاول أن يطير، وهي في حال استعداد لإسعافه إذا سقط.. هكذا هي الحياة والتحديات تجعلنا نفرد أجنبتنا ونتعود على التحليق!

هل نظرت إلى السماء وهي ملبدة بالغبار الأسود الكثيف؟ إن راكب الطائرة لا يراها كذلك بل يجدها ناصعة الصفاء.
السمو والنظر بعيد يجعلك ترى الأشياء بصورة أفضل.. ترى وجهها الجميل!

وربما أراد بك عدوك شرًا، وأراد الله لك بهذا الشر خيراً، وإرادة الله غالبة لا معقب لحكمه، ولا رادّ لقضائه، {وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَاكَلِ} (الرعد: 13).

حياتنا مقرونة بقدرٍ من القلق الإيجابي المثير؛ الذي كان وراء الكثير من نجاحات الحياة العظيمة.
كثيرون ألغوا وضعًا عاديًّا لا يحبون الخروج منه، في يريد الله أن يخرجهم إلى ما هو أفضل بواسطة أزمة عابرة تنتزعهم من الإذعان لذلك الواقع المنقوص..

والألم الذي تُحدّثه الأزمة يُظهر أجمل ما في النفس من معاني الإيمان، والحب، والمعرفة، والتواضع، والطيبة، والإيثار،
والنقاء، والبناء..

قبل طلوع الفجر تشتدّ الظلمة وتعصف الريح..

في الأرض والنفس كنوز مخبأة لا يمكن الوصول إليها إلا عبر أقبية الظلم.
كثير من الزهور الجميلة والنباتات لا تنمو إلا في الظلام.

في الظلام نتعلّم كيف نثق باليد التي تمسكنا دون أن نراها.. يد الله!
و قبل الولادة مخاوف وبكاء ومخاض ولكن النتيجة رائعة.. وجه كالقمر.. عينان كغابتني نخيل!

عَيْنَاكِ غَابَتَا نَخِيلٌ *** سَاعَةُ السَّحَرِ

أو شُرُفْتَانِ رَاحَ *** يَنْأَى عَنْهُمَا الْقَمَرُ..

الإيمان بالله يشحّن النفس بالثقة والأمل، ويجعل من الأزمات والضيقات مجالات خصبة للنمو، والبركة، والتجربة، والإبداع.

الأمل الإيجابي هو سحر الحياة وروحها..

تستطيع أن تعيش أربعين يوماً بلا طعام.

وثلثة أيام بلا ماء.

وثمان دقائق بلا هواء.

ولا تستطيع أن تعيش ثانية واحدة حين تفقد الأمل.. حين يستبد بك اليأس!

الآلام تسوقنا إلى الله، وتذكّرنا بالطريق، وتلهمنا الذكر والتسبيح.

بمقدورك أن تصبح أقوى من ألمك ليس بأن تحمله فحسب، ولا بأن تحوله إلى وسيلة للتفوق والبناء فحسب، ولكن بأن تفيض من روحك على البائسين والمحروميين والمعذبين.

كثيرون يظنون أن قربهم من الله يحرّم لهم اللذة، والمتعة، وجمال الحياة.. والحق أن الإيمان بالله يُضاعف المتعة والبهجة، ويصنع سورة منيماً ضد الإحباط والقنوط.

الأكل من الشجرة المحرّمة قصة بدأت مع آدم وهي تتكرر في حياتنا، ولكن لا يجب أن نفهم الأزمة على أنها (عقاب) محض.. هي تطهير ورفعه منزلة، وحماية من خطر قادم.

لو كنت أكثر قوة مما أنت، أو أكثر جمالاً، أو شباباً، أو مالاً، أو نفوذاً.. لربما صدر منك ما تعيبه على غيرك!

متى نعود إلى الله؟ الابن الشارد يعود إلى المنزل حينما يمرض، أو يفقد ثروته، أو يتحطم.. والله المثل الأعلى.

الفلاح يذري الحب في الهواء؛ لتطير النخالة وتبقي الحنطة الصافية، وهكذا هي رياح المحنّة تذهب رديئك وتبقي طيبك!

هل تقول إنك سيء الحظ؟

كلا؛ فرب مُعد، أو أعمى، أو ضعيف، أو فقير.. كانوا أكثر سعادة، وأعظم تأثيراً من الملوك، والأغنياء، والأخاء.

ليست الحياة حديقة زهور ولا هي حقل أشواك، ولكنها يمكن أن تكون كذلك إذا كنت مصرّاً على أن تفهمها هكذا.

أنت تثق بالمعلم، والطبيب، وقائد المركبة، والرسام الماهر، وصانع الفيلم.. فكيف لا تثق بالله الرحيم، الحكيم، اللطيف، الخبرير؟!

وإذا لم تفهم عقدة القصة أو سر اللوحة فأعد التأمل واستعن بخبرير!

وإن بنيت علاقتك مع الله على المصلحة العاجلة فحسب فقد بنيت منزلك على رمال متحركة!

كيف تعاملت مع الأزمة؟

هل كنت ممن يحتفظ بها، ويغلق الباب على نفسه، ويستسلم للعواصف، ويجترر الآلام ثم يتحول إلى الشرود، والإهمال، والتزبد، والأمراض النفسية، والروحية؟

أم كنت ممن يتمرّد على الأزمة، فيتمرّد على قيمه الإيمانية، والروحية، والاجتماعية.. ويتحول إلى العنف، والقسوة، ومحاولات الانتقام من المجتمع؟

أم حاولت الهروب من الأزمة وتتجنب التفكير فيها وعدم مواجهتها، وربما قتلت وقتلك بالترفيه السلبي واللهو والإدمان؟

أم أنت من ذلك الصنف الوعي؛ القادر على مواجهة الأزمة بصبر وإيمان وخبرة بالحياة، وعقل منفتح على الخيارات، وروح هادئة تدرى أن الحزن مقدمة السرور، وأن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسراً؟

مفتاح الحل بيديك.. أن تنظر إلى الأمام.. إلى الممكن والمقدور، وتنكيف مع المتغير سريعاً دون إبطاء، ولا تطل الالتفات إلى الخلف إلا بقدر ما يتطلبه الوفاء والاعتبار، وإياك أن تكون كالشريف إذ يقول:

وَأَنْفَقْتَ عَيْنِي فَمُذْ خَفِيتُ * عَنْهَا الطُّلُولُ تَأْفَقْتَ الْقَابُ**

{**إِكْيَلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتُوكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَوكُمْ**} (الحديد: 23).

موقع الشيخ سلمان العودة

المصادر: